



قراءات في علوم المدن؛ المجتمع والمدينة والتخطيط والتطوير الحضري

المدن وسكانها، أصبح ذلك موضوعاً رئيساً مثيراً للقلق بالنسبة للتخطيط فكثير نظري وممارسة عملية، وللنظرية الحضرية بشكل عام، وحتى الآن، وبالنظر لتاريخ الوسائل التي تم من خلالها التطوير النظري لمسائل التعددية والتنوع داخل المدن في الكثير من المناقشات والسجلات والأطروحات الفكرية، تلاحظ «لورينا ليس» أن التنوع في مسائل التعدد ذاتها هي نفسها تعاني من قلة التنظير والإلتفات على المستوى النظري. وإذا كان التخطيط هو لصياغة المدن أكثر عدلاً في سياق التنوع، فإن هذا لا يمكن أن يكون مجرد مسألة «استيعاب» أو «تبني» لمفهوم وثقافة التنوع على هذا النحو. بل بدلاً من ذلك، هو مسألة الفصل بين أنواع مختلفة من التنوع التي تميز الحياة في المدينة والتميز بين تلك الأشكال من التنوع والتي تتميز بالعدالة الاجتماعية وبين تلك التي هي غير عادلة، من أجل تعزيز ما يشيّر له من خلال هذا الكتاب باسم «التعددية العادلة». إن نظرية التخطيط من أجل التعدد والتنوع في المدينة، هو مقدمة مثالية للقضايا التي تحيط بالتنوع والتخطيط الحضري بين الأقليمي، إذ يوفر خط فكري جديداً متقدماً من أجل تقليل مبادئ عدم المساواة في المدينة والعمل من أجل «العدالة التعددية» في المدن. الأحداث والتجديد الحضري وفي ذات السياق في الحضرية والمدن، تحتل الأحداث، الدائمة والموسمية والمنقلة، مكانة مهمة في استكشاف العلاقة والتجديد؛ يمكن بحثها كظواهر منفصلة، فضلاً عن ضرورة مناقشة العلاقة بين الأحداث والسياسات. ويمكن تبين ذلك من خلال تحليل مجموعة من المدن ومجموعة من مشاريع الأنشطة الرياضية والثقافية. والأحداث تقسم إلى، رئيسية عامة شعبية، والمناسبات التي تجري في أوقات معينة، والتي تختلف عن المناسبات اليومية أو تلك التي يتم الإعلان عنها على الملأ. وهناك الأحداث الكبرى التي تجري في المدينة، في الأحداث الترفيهية الخاصة التي لا ترتبط في مكان واحد معين. وعلى مستوى أوسع هناك عدد كبير من الأحداث الكبرى المهمة في المدن المعاصرة. وغالباً ما تغير الشكل الفيزيائي البيئي للمدينة، ويشار إليها بالأحداث الحرة، أو الأحداث المتجولة في الألب، والأحداث الطليقة كمحطات مرحلية في حياة المدن مثل الألعاب الأولمبية، والأحداث المتجولة داخل المدن، مثل التنس وكرة القدم أو الغولف، والتي هي السمة المميزة لنوعية يمكن وصفها بأنها عكس الأحداث، أو هي الأحداث التي ترتبط مع مواقع لا تغطي على المواقع الضيقة داخل المدن. هذا الطرح المبتكر في الدراسات الحضرية والتخطيطية يختبر مجموعة من الرؤى النظرية المختلفة لتوفير نظرة لتفسير الأحداث الكبرى المهمة في المدن المعاصرة. إذ يفحص الطرق المختلفة التي يمكن أن تساعد الأحداث والتجديد الحضري، فضلاً عن المشاكل والقضايا المرتبطة بهذا النموذج غير التقليدي للسياسة العامة وتخطيط المدينة. كما يحدد القضايا الرئيسية باستخدام الأحداث لمساعدة التجديد الحضري ويقترح كيف يمكن تحسين الممارسات في المستقبل. وهذا المنهج يستكشف هذه العلاقة ليس لتبرير استخدام الأحداث كأدوات التجديد، بل لتحديد وتقييم الطرق المختلفة التي استخدمت سياسة تجديد الأحداث داخل المدن. وكما يبدو فالمدن حريصة على نحو متزايد لربط الأحداث بأهداف التجديد الحضري، وذلك كهدف فرعي لاقتراح كيف أن المنظمين وأصحاب المصلحة الآخرين يمكنهم تحسين نتائج تجديد استراتيجيات الحد. وغايتهم لاستخدام تحليل هذه الممارسة المتخصصة لتعزيز فهم التجديد الحضري عموماً.

مراجع المقال

The City, Deborah Stevenson, Polity, 2012
The Agile City, Building Well-Being and Wealth in an Era of Climate Change, James Russell, Island Press 2011
Planning and Diversity in the City, Redistribution, Recognition and Encounter, Ruth Fincher and Kurt Iveson, Series: Planning, Environment, Cities, Palgrave Macmillan 2008
Events and Urban Regeneration, The Strategic Use of Events to Revitalise Cities, Andrew Smith, Routledge 2012

في مسألة ربط إفران الكربون مع مجموعة من ضرائب الكربون أو الأمل بأن تقنيات سحرية يمكن أن نتقنا أو نتجنبنا المشكلات التي تؤثر علينا وترزعنا. فالتكيف مع المستقبل، بقدر ما هو أمر متعلق بتغيير المواقف الجامدة ودراسة الافتراضات الأساسية فهو في نفس الوقت أمر متعلق بالتكنولوجيا والسياسات. فكرة المدينة الرشيقية تساعدنا في التعرف على التغييرات التي تجعل الآثار كبيرة بتكاليف منخفضة. إذ أنه من الحكمة البدء في التفكير وإعادة البحث في الأنماط الاعتيادية التنموية، والنظم الرقابية الجامدة، والحوافز المطلقة التي بنيت في السياسة الضريبية. وهذه يمكن أن يكون إصلاحها محبطاً؛ فهناك معارك سياسية يجب خوضها، فضلاً عن الحاجة إلى توجيه البيروقراطية الجامدة في اتجاهات جديدة، وإيجاد طرق جديدة في التعاون مع أولئك «الكلاسيكيين» الذين تعودوا على حراسة القديم. ولكن التكاليف الحقيقية لهذه الأنواع من التغييرات هي في الواقع قليلة وفوائدها كبيرة. وعلى عكس تقنيات الطاقة البديلة ذات التكنولوجيا الفائقة، يمكن اليوم البحث في الحد من الانبعاثات والتكيف مع آثار تغير المناخ. وقد يكون من الواجب أن نلجأ في النهاية إلى التكنولوجيا المتفوقة البديلة والطاقة النووية والوقود الحيوي، وكل تدبير من تدابير الحفاظ، كما يقول العديد من الخبراء. وفي الوقت ذاته يبدو أن المدن العالمية باتت فعلاً مترابطة المصير، في المستقبل على الأقل إن لم يكن في تاريخها الماضي، فمسألة الاحتباس الحراري وانبعاث الكربون باتت القاسم المشترك الذي يتطلب عملاً مشتركاً بعيداً عن الأنانية. فبعض الباحثين في هذا الإطار يرى أنه لا يهم ما يفعله الأميركيون إذا لم تتخذ دول كبيرة تعمل على بث الكربون في الجو، مثل الصين، خطوات لتخفيض كبير في الكربون التي تصب في الغلاف الجوي. وفي هذا الصدد تطرح بعض الأسئلة الأساسية؛ لماذا لا يجب علينا استغلال الإمكانيات الغنية للحفاظ في أسرع وقت ممكن؟ ولماذا ينبغي للبلدان الأخرى اتخاذ إجراءات في حالة عدم وجود التزام جاد من قبل الولايات المتحدة؛ وإذن فالتحديات التي تواجهها المدينة اليوم هي عالمية، لكن طروحات بعض الباحثين في المدينة باتت تركز في المقام الأول على الولايات المتحدة، والدول الصناعية الكبرى التي تهدد البيئة الطبيعية العالمية وشكل وطبيعة مدينة الحاضر والمستقبل، وتدعو إلى تحمل مسؤولية مستقبل المجتمع الإنساني من خلال فهم العمليات التي تجعل المجتمعات ديناميكية وقابلة للتكيف. فمعظم الآليات التي تحرك التنمية وتصميم المباني هي اختراعات مصنعة من الحكومة والتمويل، وفريدة من نوعها لأمريكا، إن لم تكن مناسبة بشكل خاص ما أصبحت عليه أمريكا؛ ودرجات أن هناك هدفاً للمدن، ليس بالضرورة معيشياً، حيث أنها يمكن أن تستمر بسيطة ذات منهجية واحدة تناسب كل أساليب صناعة المدينة، والتي ليست رشيقية ولا متكيفة جداً. ويرغم أن طروحات مفهوم المدينة الرشيقية تركز بشكل كبير على تغير المناخ، إلا أنها تستجيب لمفاهيم شبكة الإجراءات التطورية المشتركة البشرية التي يمكنها بشكل منوذج استعادة النظم الطبيعية الملازمة للصحة وللتكيف. التخطيط والتعددية في المدينة وعلى مستوى آخر متعلق بالمدينة فقد أصبح التخطيط الحضري والإقليمي، نظرية وممارسة، أكثر وعياً في الآونة الأخيرة بضرورة تلبية مجموعة متنوعة من الاحتياجات والقواعد الناظمة كأفضليات. ولكن هناك وضوح أقل حول ماهية الأهداف والغايات التي يجب أن تشكل الخلفية المعلوماتية لعمليات التخطيط لهذا التنوع. ويعرض تقديم إطار معياري لممارسة التخطيط، تبرز مجموعة من قواعد «المنطق الاجتماعي» لجهود التخطيط المحلية التي تستجيب لأنواع مختلفة من التنوع، والتي قد تساعد المخططين لتطوير بعض «القواعد الأساسية» التي يمكن أن توجه أفعالهم. قواعد المنطق الاجتماعية الثلاث هي إعادة توزيع، والتعرف على، أو تمييز، والتقابل. كل مبدأ هو موضوع لطروحات مهمة وأساسية. فالأول يشرح المبادئ والقواعد، والثاني يعرض ويعقد مقارنة للجهود المبذولة لتشكيل المدن، بالإعتماد على الأمثلة ذات العلاقة من جميع أنحاء العالم، والثالث يتم من خلاله التفاعل مع الأفراد والتخطيط له من أجل تقديم فرص لزيادة السلوك الاجتماعي. ومهمة المفكر النقدي حول التخطيط الحضري، في جزء منها، هي التمييز بين الأشكال المرغوبة وغير المرغوبة لمبادئ التنوع والتجانس. وقد استمر هذا الجدل ليكون وثيق الصلة لطريقة تفكيرنا حول التخطيط في مدن التعددية الثقافية والإنسانية. في الأريبعين عاماً منذ وقوع الهجمات الأولى على افتراضات وممارسات التخطيط للتنوع والتعددية داخل

لا تزال المدينة تحمل بين ثناياها غموضاً تنبئ على الزوار والمرتادين والقائمين على حد سواء، وهو ما يشكل جوهر الترحال والسفر للبحث في كنه التنوع الهائل في «طبائع المدن» وكيونتها، وحياتها، والحركة الدووية، غير المنقطعة، المتجددة زمنياً، والتي تدور في طرقاتها وفضاءاتها العامة والخاصة. وبدون شك فما زالت المدينة تحتل موقع الصدارة في العلوم الحضرية والإنسانية وعلوم الاجتماع والجغرافيا، فضلاً عن التصميم والتخطيط الحضري. فهي بمثابة «كائنات» لها حياة وتاريخ ونموت بعد دورة طالت أم قصرت. وقد شكلت دراسات المدينة على الدوام محورا مهما مرتبطاً بالجنس البشري نظراً للإرتباط اللصيق بينهما، إذ يصوغ كلاهما الآخر في «دورة» تبادلية. وبالرغم من الدراسات المنهجية المتلاحقة غير المنقطعة في مجال «المدينة»، إلا أنها – أي المدينة – لا تزال لغزاً غامضاً أبعد من أن تحيط به دراسة جزئية بتخصص واحد. ومن هنا فلم يعد خافياً أن النصوص التي تبحث في المدن المعاصرة باتت متعددة الاختصاصات في مباحثها، بل إن بعضها باتت يركز على البعد الاجتماعي في تحليل محور المدينة ودور الفكر الاجتماعي المعاصر في بناء المدن الحديثة. فمثلاً كتاب (The City) الصادر حديثاً قبل عام يقدم تحليلاً مبتكراً حول المدينة ك مفهوم مركزي في الفكر الاجتماعي المعاصر. فهو يشرح في قراءة وتحليل الطرق المثيرة للجدل والتي من خلالها يتم بناء المدن، والطرق التي يتم فهم المدن خلالها، وكيف يتم تصورها بالإضافة إلى حياتها. ويختبر مواضيع متعددة ونهجاً يعتمد على مجموعة من النقاط النظرية والمنهجية والتجريبية، ويختبر طروحات مثيرة للاهتمام في مجال المحتوى البيئي للمدن مثل عدم المساواة الحضرية والمساحات العامة، فضلاً عن طرق مفاهيم مثل المدن الإبداعية، والعولة، والاقتصاد، والضواحي، والذاكرة والعاطفة، ومكانها من صوغ المدينة بإطارها المعنوي والمادي على حد سواء. وفي موقع محوري يعتمد الكتاب علم الاجتماع في توجيهه، لمعالجة بعض المناهج في علم الاجتماع الحضري وأيضاً الدراسات الحضرية التي تسهم على نطاق أوسع التخصصات في فهم المدينة المعاصرة. وينطلق من فرضيات إن معظم التصورات الثاقبة هي التي تجاوزت الانقسامات الجامدة والنثائيات، مثل «الغرب وباقي العالم» <،> العالمية والمحلية، و«الريفية والحضرية»<، ويسعى إلى تقديم رؤى مختلفة بعض الشيء في المناطق الحضرية متنوعة التعقيد. وضمن هذا الإطار يعتمد الكتاب المناقشات والأفكار، ونتائج بحوث تصورات للمدينة في مختلف السياقات الوطنية والمحلية، واللحظات التاريخية والسياسية. ومن المثير أن القراءة في مثل هذه الكتب عن المدينة لا تقوم فقط على إعادة تقدير للمدينة وإبراز مجموعة من وجهات النظر، بعضها يثير الدهشة، ولكنها يتتبع المفاهيم والمواضع المؤثرة بطريقة موجزة ومؤطرة بشكل واضح، ومزيج من الأصالة والتوليف في تناول العديد من التخصصات على اختلاف مرجعيات البحث في مجالات متعددة، إذ يمثل إضافة في علوم الاجتماع والجغرافيا والدراسات الحضرية والعلوم الاجتماعية الأوسع والعلوم الإنسانية. ومن المهم التأكيد على العلاقة المهمة بين المدينة والحياة الحضرية بشكل كلي، بما في ذلك تأثير التوجهات الفكرية العالمية على بنوية وحياة المدينة كعوامل حسية ومعنوية منها الأفكار والأشخاص والسلع، والممارسات والعلاقات بينها، استناداً إلى افتراض أن المدينة في ذاتها نظرية ومادية وخبرة عملية. كل من هذه العوامل هو قائم بذاته ويمكن قراءته بمعزل عن غيره، ولكن الروابط المهمة في النص بين المواضيع والمناقشات تظل محل جدل ونقاش من أجل تطوير الأطروحات المختلفة – وهي مهمة الكثير من الباحثين وعلماء الاجتماع وسواهم في تطويع وتأصيل الحوار المتبادل عبر التخصصات والبحوث في البيئات الحسية والمعنوية. مثل هذه الطروحات لا تقدم «قائمة التسوق» من النظريات الحضرية أو تاريخ الفكر الحضرية. بدلاً من ذلك، فهي عمل يشترك في تقديمه منهجيات متعددة للدخول لموضوع المدينة وفكرتها الأساسية من خلال اتخاذ نهج موضوعي يقدم بالتالي الإهتمامات الأساسية في تطوير وإعادة إنتاج المفاهيم المتعلقة بالمدينة. المدينة الرشيقية أحد الجوانب البيئية المهمة التي تتصدر مشهد وبحوث المدينة تتمثل في النقاش المحتدم حول ظاهرة الاحتباس الحراري، حيث تطرح مسألة ترشيد استهلاك الطاقة بشكل متفاوت تقريباً، كأمير يجب عمله لكنه ذي فائدة هامشية. فهناك تسارعات وتطورات غير مسبوقة وتغييرات على صعيد المجتمع والمباني يمكن أن تصل لأهداف الحد من الكربون بسرعة، وربما أسرع بكثير وبتكلفة أقل مما يظهر الاقتصاد



د. وليد أحمد السيد